

## الممارسة الأمريكية للقوة في ضوء الخبرة التاريخية الإسلامية

عادل ابن ايدامو

(طالب دكتوراه في العلوم السياسية/ جامعة محمد الخامس السويسي - كلية الحقوق - سلا)

[benidamou.adil@gmail.com](mailto:benidamou.adil@gmail.com)

## مقدمة:

لقد بات الإقرار بمحورية القوة ومركزيتها في حقل العلاقات الدولية شيئا ثابتا لا خلاف حوله، ويتأكد هذا الإقرار بالأخص في ظل نظام عالمي يتسم بالفوضوية: تلك الفوضوية الناجمة عن تطلع الدول، إلى امتلاك أكبر قدر من القوة وتوظيفها بالشكل الذي يجعل هدف المصلحة القومية منصبا بالدرجة الأولى على تدعيم القوة الذاتية للدول<sup>1</sup>.

والواقع أن هناك مستوى من التحليل يؤكد أن تاريخ السياسات الدولية هو صراع من أجل القوة، صراع يجعل من السياسات الخارجية للدول جهدا متواصلا لامتلاك القوة في مقابل إضعاف الخصم والنيل من قوته وقدرته على التأثير في السياسات الدولية والفاعلين فيها<sup>2</sup>. إنه التحليل المعتمد من قبل الاتجاه القائل باستحالة الاستقرار والسلم الدوليين بدون توفر نظام يركز على القوة<sup>3</sup>.

في هذا السياق أصبح تحديد المكانة التي تحتلها دولة ما قائما على أساس حجم القوة التي تمتلكها (مقياس كمي)، وكيفية توظيفها (مقياس نوعي) تبعا للأوضاع الدولية؛ إذ أن تطور النظام الدولي أكد تحولات عدة عرفها مفهوم القوة، وأثبت أولوية عنصر من عناصر القوة على الآخر عسكريا كان أم اقتصاديا أم معرفيا...<sup>4</sup>. وتتجلى الأهمية البالغة لدراسة القوة ضمن النظام العالمي، في ميزتين أساسيتين: أولهما اعتبار القوة مفهوما أساسيا في البحث والتفكير والإدراك<sup>5</sup>؛ إذ أن القوة وصراعات القوة قاعدة محورية في العلاقات الدولية.

والميزة الثانية تتمثل في أن تاريخ العلاقات الدولية تأكيد مستمر لقصور المعنى المطلق لمفهوم القوة الذي لا يتوافق في دلالاته مع تفاعل القوة مع قوة أخرى. فمقياس القوة ليس بمقارنتها بما للآخرين من قدرات، بل بما ينجم عن امتلاكها من نتائج. إن الولايات المتحدة كانت أكثر قوة في حرب فيتنام لكنها لم تحقق النصر. وقوة السوفييات العسكرية في أفغانستان كانت أشد تفوقا كما ونوعا لكنها لم تكن قوة منتجة<sup>6</sup>.

وهكذا، فإن كون مقياس القوة يتمثل في الأثر المترتب عليها ونتيجتها، يستدعي التأكيد على التحول المعاصر في دلالات مفهوم القوة. فالواقع أنه في ظل تنامي ظاهرة الاعتماد المتبادل المعقد، أصبحت عناصر القوة موصومة بالتجانس والترابط. فلا يمكن لدولة ما أن تفرض هيبتها على الساحة الدولية من خلال تحصيل أسباب القوة العسكرية فحسب، بل لا بد من الاهتمام بتعبئة جميع الموارد المتوفرة

1. Amélie Blom et Frédéric Charillon , *Théories et concepts des relations Internationales*. Paris , Hachette supérieur , 2001, p : 14 .

2. د. زينب عبد العظيم: "الإستراتيجية الأمريكية العالمية واستمرار الحرب ضد الإرهاب"، أمني في العالم (كتاب غير دوري يهتم بقضايا العالم الإسلامي): القاهرة، مركز الحضارة للدراسات السياسية، العدد 5، 2003م، ص 809.

3. Jean Claude Zarka, *les relations Internationales en Qcm*, Paris, Ellipes, 2005, p : 51.

4. وليد عبد الحى: "المكانة المستقبلية للولايات المتحدة على سلم القوى الدولي" السياسة الدولية (القاهرة)، العدد 126، أكتوبر 1996، ص 8 .

5. د. سيف الدين عبد الفتاح: "مدخل القيم: إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام" مشروع العلاقات الدولية في الإسلام (الجزء السادس): القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1999 ص 24.

6. وليد عبد الحى، المرجع السابق، ص 8.

لتكون القوة محصلة لاستثمار الأوجه والأنواع المتعددة للقوة. فجميع النظم الدولية القديمة كانت تستند على الثروة الاقتصادية، بمعنى أن الدولة الأقوى عسكريا تكون الأقوى اقتصاديا (روما، أو الإمبراطورية الإسلامية، أو بريطانيا...)<sup>7</sup> وهذا أيضا ما أكدته هنري كيسنجر بقوله أن عناصر القوة سترجع إلى التكامل في القرن الحادي والعشرين. ويتجلى ذلك خاصة من خلال التجربة السوفياتية التي أظهرت أن قوة الدولة وتفوقها لا يمكن أن يتحقق بفعل الاعتماد على القدرات العسكرية وحسب، أي بإهمال العناصر الأخرى غير العسكرية للقوة<sup>8</sup>

ومن ثم نستشف أن تقييم سياسات واستراتيجيات القوة يتطلب فهما عميقا لتأثيرات القوة العسكرية المرتكزة على القوة الاقتصادية، فالقوة تستمد من الثروة. ويتضح ذلك مثلا من خلال السعي الأمريكي الدائم نحو الهيمنة الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة على موارد الدول الأخرى، لتكون ضمانا لتفوقها العسكري نتيجة لما توفره تلك الهيمنة من قدرة على الرفع من ميزانية التسلح ونفقات الأبحاث والدراسات العسكرية، خاصة أن هذا الرفع بنته بعد تغذية استرجاعية لمختلف عناصر القوة<sup>9</sup>.

وإلى جانب الاهتمام بالأبعاد الاقتصادية للسياسات الدولية، فهناك عناصر أخرى للقوة تذكى فكرة القوة القومية. بمفهومها الشامل، سواء المادية منها أو المعنوية، ومنها نظام الحكم ومؤسساته والتطور التكنولوجي والجهاز الإنتاجي ومستوى التسلح والزعامة السياسية والإيديولوجية والدبلوماسية والدعاية والرأي العام<sup>10</sup>.

أما المرحلة المتقدمة في تصور القوة، فهي مرحلة المعرفة، التي تجعل من الموارد البشرية الرأسمال الأهم والذي ينبغي إيلاؤه أهمية بالغة. فالمعرفة تشكل سلطة ذات مضمون عال في نوعيته ومتسمة بالإيجابية إذا ما أحسن توظيفها. هذا الاهتمام بالجانب الثقافي والمعرفي يعد أحد أوجه القوة الناعمة التي تعد أداة أساسية لتصريف شؤون الدول الخارجية، وذلك لكونها تنبني على الإقناع من خلال تقديم نموذج " حضاري " وتقديمه على أنه الأمل والجدير بالافتداء، فتكون النتيجة امتثال باقي الأطراف دونما حاجة لعملية الإخضاع المرتكزة على القوة العسكرية أو الاقتصادية والتي تعرف في العلوم الاستراتيجية بالدبلوماسية الإكراهية أو بالقوة الصلبة<sup>11</sup>.

\*\*\*

وانتقالا للنماذج التطبيقية - التي اخترناها موضوعا للبحث - في ممارساتها للقوة، يلاحظ أن توظيف القوة من قبل الولايات المتحدة، منذ نشأتها حتى الآونة الحالية هو توظيف امريالي. ويتبين ذلك من خلال المستوى الإستيمولوجي الذي يؤكد أنها تعتمد تصورا للقوة يرفض التعايش مع أي منظومة خارج مجال النظام " المادي " <sup>12</sup>. فمع التسليم الأمريكي بالتقدم المطلق، أي بالقدرة اللانهائية على التقدم، نجم اعتقاد بأن القدرة الإنسانية على التحكم والسيطرة والهيمنة هي قدرة لا نهائية، ومن ثم أصبح النماء والتوسع الشامل محور الاهتمام. وكانت في هذا الصدد إبادة 15.5 مليون من الهنود الحمر إثباتا لفكرة أمريكا ( فكرة استبدال شعب بشعب وثقافة

7. وليد عبد الحى: "المكانة المستقبلية للولايات المتحدة على سلم القوى الدولي"، مرجع سابق، ص 8.

8. لحسن بيباس: دبلوماسية الهيمنة علاقة الولايات المتحدة بسوريا ولبنان بعد احتلال العراق، مسودة رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، كلية الحقوق سلا - سنة 2007، (الصفحات الأولى من المسودة).

9. التخطيط لمستقبل العالم، تقرير مشروع 2020 مجلس الاستخبارات القومي الأمريكي، ترجمة مركز الدراسات والأبحاث : مؤسسة خالد الحسن ص:56.

10. لحسن بيباس، مرجع سابق، الصفحات الأولى، أخذنا عن إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية، الكويت، جامعة الكويت، ط 1، 1982، ص 43.

11. كريم القاضي، " عودة مفهوم القوة الرخوة إلى السياسة الأمريكية "، ملف الأهرام الاستراتيجي، القاهرة، العدد 124، أبريل 2005، ص: 45.

12. د. عبد الوهاب المسيري، " الرؤية الاستيمولوجية الامريالية "، المنعطف، الدار البيضاء، العدد 10، 1995، ص 47.

بثقافة<sup>13</sup>. حدث أثبت أن التعامل الأمريكي مع حضارة الهنود الحمر لا يختلف فقط عن الحل النازي للمسألة اليهودية بل يتفوق عليه. وبناء على ذلك فتوظيف القوة في الثقافة الأمريكية يخدم النمط الاستيطاني والإحالي<sup>14</sup> (إحلال شعب مكان شعب). وفي هذه النقطة تلتقي الممارسة الأمريكية للقوة مع الممارسات الصهيونية العنصرية. على أن الباحث يميل إلى القول بأن التوظيف الأمريكي للقوة أشد سلبية مقارنة مع العقيدة الصهيونية العنصرية. وكان من بين التأثيرات المعاصرة للتصور الأمريكي للقوة، بزوغ مرحلة النظام العالمي الجديد الذي يعني انفراد الولايات المتحدة بالقرار الحاسم في القضايا الدولية، الشيء الذي أثار انتقادات من منطلق أن السياسة الأمريكية تنتكر للتعددية وتنتج نحو الهيمنة الأحادية من خلال التدخل الانفرادي في عدة مناطق في العالم<sup>15</sup>.

ومع تطور الأحداث بداية الألفية الثالثة، والتي شهدت هجمات 11 سبتمبر 2001، وما تلا ذلك من الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق وغير ذلك من مختلف التدخلات الأمريكية، تؤكد شيئا فشيئا أن العالم دخل مرحلة جديدة سمّتها البارزة طغيان سلطة وجبروت قطب واحد يحكمه بمنطق ينتكر لقواعد القانون الدولي، ويخالف منطق العلاقات الودية والإنسانية بين الدول. إنه المنطق الذي يستند إلى استراتيجية تبني على مفاهيم الهيمنة والقوة الكاسحة والحروب الإستباقية لضمان تحقيق أهداف إستراتيجية على المدى الطويل. أي تلك الأهداف التي تبين الدوافع الحقيقية للسياسة الأمريكية والمائلة في السيطرة على منابع النفط، والتطوير الموهوس للصناعات العسكرية، وفي التواجد في مختلف مناطق العالم لتطويق ومراقبة القوى الأخرى الكبيرة وفي طليعتها الصين وروسيا، ناهيك بشن حرب مفتوحة ضد الحضارة الإسلامية بالتحالف مع الصهيونية<sup>16</sup>.

وفي هذا السياق، فإن هناك استمرارا لاعتماد القوة العسكرية كخيار جوهري لرسم التوجهات الأمريكية الإستراتيجية، وهو ما يؤكد ضرورة إحياء وتكريس مبادئ تراث "الحرب العادلة" وتكييفها حتى تتناغم مع الظروف الدولية المعاصرة<sup>17</sup>. ويعد مشروع الدرع الصاروخي الأمريكي الذي يتوقع إتمامه سنة 2013 أحد التحليلات المستقبلية لاستمرار التزوع إلى استخدام القوة.

\*\*\*

أما دراسة توظيفات القوة انطلاقا من الخبرة التاريخية الإسلامية في التعامل الدولي، فإنها كفيلة باستنتاج أهمية القوة ضمن المنظومة الإسلامية، بكونها قوة منضبطة برشد المقصد، وبالشكل الذي تتأكد معه محورية العدل في علاقة المسلمين بغيرهم. فالقوة وفق الرؤية الإسلامية للعلاقات الدولية لا تعدو أن تكون وسيلة لإقرار العدالة وإقرار السلام، وذلك في سياق ممارسة الدولة الإسلامية لسياساتها الخارجية<sup>18</sup>.

وقد اختار الباحث تجربة الحكم الماربطي في فتح بلاد الأندلس نموذجا تطبيقيا يجلي بوضوح الأسس التي تؤطر القوة في العلاقة مع الآخر، على أساس أنها علاقة تبني على مفهوم وحدة الجنس البشري في إطار التنوع البناء نغيا لأي شرعية لكل لدعوي العنصرية<sup>19</sup>.

13. منير العكش، حق التضحية بالآخر، أمريكا والإبادة الجماعية، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، ط 1، يونيو 2004، ص 51.

14. وليد عبد الحفي، مرجع سابق، ص 19.

15. علي محجوب، "إعادة التفكير في سياسة بوش الخارجية"، قراءات استراتيجية، العدد الأول، يناير 2005، ص 25.

16. د. زينب عبد العظيم، مرجع سابق، ص 836 إلى 844.

17. سيوم براون، وهم التحكم، القوة والسياسة الخارجية في القرن الحادي والعشرين، تعريب: فاضل مبتكر، لبنان، الحوار الثقافي، ط 1، 2004، ص 33.

18. د. إبراهيم البيومي غانم، "المبادئ العامة للنظرية الإسلامية في العلاقات الدولية"،

<http://www.islamonline.net/arabic/contemporaray/politics/2006/06/02.shtml>

19. د. إبراهيم البيومي غانم، مرجع سابق.

وبطبيعة الحال فاختيار هذا النموذج لا يعني عن البحث في تراثنا التاريخي وما يكتنفه من مواقف متعددة، استحق المسلمون خلالها اعتراف المستشرقين ذاتهم بنبل أهدافهم وأخلاقياتهم في خوض الحروب، كما هو الحال في استرجاع القدس مع صلاح الدين الأيوبي<sup>20</sup>.

هذا وقد وجدنا في تجربة الحكم الماربطي دلالة على أن فتح الأندلس كان لأسباب تتعلق بحماية المسلمين بعد استنجداهم بالقائد يوسف بن تاشفين لرد الخطر النصراني، وكذا لتخليص المسلمين من ظلم ملوك الطوائف الذين نهجوا سياسة ضريبية غير عادلة، وكذا لوقف التناحر الدائر بين ملوك الطوائف والذي أضعف قوة المسلمين<sup>21</sup>.

\*\*\*

لدراسة الموضوع سنسلك مقارنة تقوم على أساس تناوله من زاوية نظرية وتطبيقية معتمدين في ذلك على المنهج الواقعي، منهج التدافع، منهج المصالح القومية، والمنهج التاريخي المقارن. فإعمال المنهج الواقعي في هذه الدراسة نابع من كون أن هذا المنهج يستند إلى المنطق الذي يرى أن القوة هي القاعدة المحورية في العلاقات الدولية<sup>22</sup>، مما يمكن من تفسير دور القوة الأمريكية وأهميته. في حين نجد منهج التدافع كفيل بإبراز وجهة النظر الإسلامية التي تعتمد خاصية التعاون كسبيل لتحقيق التطور الاجتماعي والحضاري العام<sup>23</sup>، دون أن ننفي أن الأمة الإسلامية في إطار هذا المنهج ملزمة بالحفاظ على مكانتها ووضعها ومطالبة بالأخذ بأسباب القوة. أما منهج المصالح القومية فسيضعف في تبيان دور القوة في السياسة الخارجية والذي يتحدد في هدف الحفاظ على المصلحة القومية<sup>24</sup>. كما سيعني الباحث من خلال المنهج التاريخي المقارن برصد مسارات تطور النظام الدولي، هذا التطور الذي يؤثر على توظيفات القوة من خلال الإستراتيجية الأمريكية. كما سيمكن المنهج التاريخي من النظر في توظيفات القوة خلال نشوء الدولة الأمريكية، وسيعني الباحث من خلاله أيضا بتبيان دور القوة في فتح بلاد الأندلس كنموذج في إطار الخبرة التاريخية الإسلامية، وتصورها لحدود القوة في التعامل مع الآخر<sup>25</sup>. أما المنهج المقارن فيعني بإجراء مقارنة بين توظيفات القوة في التجربة الأمريكية والإسلامية<sup>26</sup>.

غير أن ما يميز منهجية البحث في جزء منها، كان في واقع الأمر منهجها المعرفي الذي يعنى عبر الاستعانة بالمنهج التحليلي / التركيبي بدراسة ظاهرة اجتماعية تتحدد في عملية الإبادة من خلال : توصيف وسطها (أرضا : أمريكا، وبشرا : الهنود الحمر)، وبيئتها التاريخية ( حقبة تأسيس الدولة الأمريكية )، وأنماط السلوك.

والقيم المرتبطة بظاهرة الإبادة، وتعليل ذلك والخروج منه بتصور لحقيقة القوة الأمريكية وأبعادها وتداعياتها وتأثيراتها الحالية، على أن يتحرى الباحث في ذلك كله تجنب التوظيف المبيت المرتكز على الإيمان الجزمي بحتميات تاريخية بذاتها.

20. د. محسن محمد حسني، الجيش الأيوبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1986، ص 396.

21. أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، الدار البيضاء، دار الكتب، 1954، ص 31-32.

22. د. زينب عبد العظيم، مرجع سابق، ص 809.

23. أ. عبد القادر بن عزوز، " بواعث العلاقات الدولية في الإسلام "، رؤى، العدد 2004، 21، ص 85.

24. د. إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، الكويت ذات السلاسل، ط4، 1985، ص 22.

25. د. إسماعيل صبري مقلد، نفس المرجع، ص 14.

26. د. إسماعيل صبري مقلد، نفس المرجع، ص 15.

وفي هذا الصدد سنوظف المنهج التصارطي<sup>27</sup> دلالة على المنهج الذي يسم حركة الإنسان نحو المستقبل بهدف تركية واقعه من خلال الاهتمام بمدركاته الجماعية ( مجموعة القيم والموجهات العقدية والأخلاقيات العملية التي تشكل إطارا مرجعيا، والذي يفترض أن تستند إليه المواقف الإسلامية في علاقاتها الدولية).

كما أن منهجية الدراسة لا تعتمد الفصل بين تراث الفكر السياسي والعلاقات الدولية في تحديد مفهوم القوة، وذلك لسلبية التعامل مع العلوم باستقلالية تامة عن باقي مجالات المعرفة الأخرى. إذ أن مجال دراسة العلاقات الدولية، استفاد بكثير من النظريات التي وجدت أصولها في الفكر السياسي، وبذلك كان الفكر السياسي مصدرا لإغناء حقل العلاقات الدولية.

والدراسة عموما، تنطلق من فرضية أساسية تتمثل في كون الولايات المتحدة الأمريكية كنموذج لا يشذ عن الحضارة الغربية، يعاني من إفراط في استخدام القوة إلى درجة يجعلها غاية يسعى لتملكها. في حين تكشف التجربة الإسلامية التاريخية في العلاقات الدولية - من خلال فتح الأندلس - أن توظيف القوة غير مقبول إذا لم يحترم غايات الحق والعدل، الشيء الذي يجعل القوة وسيلة لخدمة أهداف رشيدة.

من خلال ما سبق أن استعرضناه من خطوات، يمكن طرح سؤالين أساسيين في محاولة لصياغة الإشكالية الأساسية للبحث والتي نسعى إلى معالجتها. السؤال الأول مرتبط بمدى التزام الممارسة الأمريكية للقوة بالقواعد الإنسانية، الشيء الذي يدفع إلى البحث عن التوافق من عدمه بين القوة الأمريكية فكرا وممارسة مع النموذج الحضاري الإسلامي؟ أما السؤال الثاني فيتعلق بحقيقة التميز في الرؤية الإسلامية للقوة عن المنظور الأمريكي والغربي عموما؟ لنعلن في الأخير عن إشكالية البحث المحورية والمتمثلة في الإجابة عن كون القوة وسيلة أم غاية في حد ذاتها؟

وللإجابة على هذه الإشكالية، فإنه سيتم تخصيص فصلين أساسيين وخاتمة. الفصل الأول سيعالج مفهوم القوة في الخبرة الإسلامية وتطبيقاتها؛ وذلك من خلال عنوانين أولها: مفهوم القوة وفق الرؤية الإسلامية، وثانيهما: تطبيقات القوة في الممارسة التاريخية الإسلامية. أما الفصل الثاني فسيعالج مفهوم القوة في الخبرة الأمريكية؛ تحت عنوانين هما: المنظور الغربي الأحادي للقوة، ثم نشأة الولايات المتحدة وممارسة القوة. أما الخاتمة فستتطرق لنقد التوظيف الأمريكي للقوة من منظور حوار الحضارات.

## الفصل الأول: مفهوم القوة لدى الخبرة الإسلامية:

1- مفهوم القوة وفق الرؤية الإسلامية: إن القوة وفق الرؤية الإسلامية أداة لإرساء العدالة بين أفراد المجتمع الدولي ونشر ثقافة الأمن والحد من الفقر والبؤس الاجتماعي<sup>28</sup>؛ فالعلاقات الدولية من خلال المنظور الإسلامي تعد باعنا ووسيلة لنشر قيمة العدل. بناء على ذلك فالقوة لا يمكنها أن تكون وسيلة لتحقيق التضامن الدولي إلا باحترامها المثل والقيم العليا، كقيمة الحق مثلا. الشيء الذي يفترض معه انضباط القوة بالتفكير المقاصدي. لذلك نجد أن مفهوم القوة وفق الرؤية الإسلامية يتحرك ضمن منظومة منفتحة على غيره من المفاهيم، كالعدل<sup>29</sup> الذي يعد حقيقة حضارية تؤكد أن التمثل السلوكي لمفهوم القوة تعبير عن رقي معرفي وسمو في التقاليد التاريخية والقيم الدينية<sup>30</sup>.

27. منهج صاغه الدكتور سعيد خالد الحسن.

28. د. عبد القادر عزوز، مرجع سابق، ص 56.

29. د. سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 424.

30. د. حامد ربيع، مرجع سابق، ص 190.

القوة إذن ليست منظومة مكتفية أو مغلقة. الشيء الذي لا ينبغي معه إعطاؤها الأولوية في مقابل القيم التي تحكمها وتوجه توظيفها، لأن القوة وفق الرؤية الإسلامية وسيلة لمقاصد رشيدة. "إنها تحرك استخلافي يراعي به وفيه حق الغير وحق الذات جميعا"<sup>31</sup>.

وتجاوزا للحديث عن قيمة القوة، فإنه حتى إذا ما تحدثنا عن القوة كقيمة، فهي تظل ملحقة وحسب بعناصر العدل وأصول التوحيد وحقائق العمران. فالقوة كقيمة تظل معنية بحماية القيم الأخرى ومنضبطة بما تتحرك وفقا لمقصودها. إنها قيمة موصولة متفاعلة ضمن حركة عدل مانعة للظلم والعدوان هادفة إلى البناء العمراني القائم على التزكية الإنسانية في ارتباط دائم وأبدي بالتوحيد<sup>32</sup>.

إن القوة بناء على هذه الرؤية المعرفية تتقاطع مع العدل. فإذا كان العدل في أبسط معانيه التعامل مع الآخر دون التأثير بمشاعر الحب لصديق أو الكراهية لعدو<sup>33</sup>، فإن توظيف القوة وفق الأصول التشريعية الإسلامية يجد مكانه أيضا بين المسلمين من خلال رد ظلم فئة من المسلمين في إطار القضاء على الحروب الداخلية. فالأمر الإلهي بقتال الفئة الباغية في حال الاقتتال بين طائفتين من المؤمنين واضح<sup>34</sup>. ويمتد هذا التوظيف في احترام لقيمة العدل، إلى علاقة المسلمين بغيرهم من خلال تحريم إلحاق الظلم بأي جماعة أو فئة أو أقلية، وجعل القوة وسيلة لإقرار السلام العالمي. ذو الطابع الإنساني العام، ليحتل موقعا مركزيا في صلب النظام العالمي الذي ينشده الإسلام. وفي اعتقاد الباحث، فإن التركيز على الجانب القيمي الذي يوطر القوة ليس دعوة إلى المثالية أو الوهن والتخلي عن أسباب امتلاك القوة. فتحصيل القوة فعل مأمور به من خلال قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)<sup>35</sup>. وفي الآية معان منها أهما ذكرت نظرية القوة من أجل السلام، فمن دون قوة هناك استحالة للحصول على السلام مع الآخرين<sup>36</sup>.

إن المنظومة المعرفية الإسلامية معنية بالدفع بالتفكير بأهمية القيم ضمن العلاقات الدولية. وذلك نتيجة لكون نظرية القيم تنطرق إلى نطاق السياسة الخارجية على نحو سلبي. فكل الدول العظمى تزعم سعيها لخلق نموذج جديد لتوظيف القوة أساسه الربط بين الأهداف والقيم. فالسلام العالمي الغربي الدولي، والتسميم السياسي وعسكرة العلاقات الدولية وغيرها، مسالك أساسية لسياسات الدول العظمى تتهدد بالدرجة الأولى الدائرة الحضارية الإسلامية<sup>37</sup>.

\*\*\*

**2- تطبيقات القوة في الممارسة التاريخية الإسلامية :** من خلال الخبرة التاريخية، نجد بأن تجربة الحكم المرابطي في الأندلس أثبتت أن هدف القتال وإعداد القوة في الإسلام، محكوم باعتبار الجهاد وسيلة لإقرار العدالة وليس غاية في حد ذاته سواء كان الجهاد حربا دفاعية أو هجومية في سياق ممارسة السياسة الخارجية.

لقد كان السياق العام بالأندلس، أن انتهت دولة بنو أمية سنة 1016، وقامت فيه دول متفرقة تسمى بملوك الطوائف تتناحر فيما بينها حتى ضعف أمر المسلمين. ومن ثم كان جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس كما أكد ذلك ابن خلدون تحديدا لمصير المسلمين، من

31. د. سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 424.

32. سيف الدين عبد الفتاح وآخرون، *العلاقات الدولية بين الأصول الإسلامية وبين خبرة التاريخ الإسلامي*، الجزء 1، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، ط 1، سنة 2000، ص 202 و 203.

33. د. إبراهيم البيومي غانم، مرجع سابق.

34. سعيد حوى، *الإسلام*، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1979، ص 548.

35. سورة الأنفال، الآية 60.

36. سعيد حوى، مرجع سابق، ص 546.

37. د. حامد ربيع، مرجع سابق، ص 25.



خلال انتصاره في موقعة الزلاقة سنة 1086، وحماية للإسلام من الخطر النصراني الذي كان يتهدهده، وكذلك رفعاً للظلم الذي ألحقه ملوك الطوائف برعاياهم<sup>38</sup>.

إن فتح الأندلس تم في إطار الحرب الدفاعية. ويتأكد ذلك من خلال كتاب المعتمد بن عباد الذي ورد على يوسف بن تاشفين والذي يعلمه فيه بما آل إليه أمر الأندلس. فقد قام الأدفونش بتكوين جيش من الإفرنج والشكنس والجلالقة وشق بلاد الأندلس، يقف عند كل مدينة فيخرب ويقتل ويسبي. فكان ذلك من أقوى الأسباب التي حركت عزائم المسلمين بالأندلس والمغرب على الجهاد<sup>39</sup>.

وبعد أن أجمع علماء الأندلس وملوكها على جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، بلغ الخبر الأدفونش أن يوسف عابر من سبتة للقائهم. فبعث إلى كبار النصرانية واستنفر أهل قشتالة وجليقية وسائر المحاورين له<sup>40</sup>، حتى تتقوى شوكته ضد يوسف بن تاشفين. لكن يوسف بن تاشفين لم يكن متحمساً للقتال على الرغم مما ألحقه الأدفونش بالمسلمين. لذلك وقبل واقعة الزلاقة قدم يوسف إليهم كتاباً يعرض عليهم من خلاله الدخول في الإسلام عن طوعية واختيار، أو دفع الجزية كضريبة على المواطنة دون أن تكون استصغاراً من شأنهم أو إجحافاً في حقهم، أو الحرب نصرة للحق<sup>41</sup>. إلا أن تعنت الأدفونش نجم عنه موقعة الزلاقة والتي حقق خلالها المسلمون نصراً يشهده التاريخ. فتحطمت بذلك قوة قشتالة وليون وتوقف تقدمها نحو الجنوب<sup>42</sup>. ومن ثم كانت هذه الموقعة موقعة الحسم في مصير إسبانيا المسلمة. فقد كانت موقعة الزلاقة نذيراً بأعظم تحول، بعد أن قدم إليها المرابطون إخواناً في الدين، وأصدقاء مجاهدين منجدين<sup>43</sup>.

وبعد أن أعاد يوسف بن تاشفين ميزان الأمور في الأندلس عاد إلى المغرب لينظر في أمور دولته الواسعة. وذلك لأن الانتصارات العسكرية مهما عظمت فإنها تبقى غير ذات قيمة عملية إذا لم تستغل سياسياً وعسكرياً. فلو لم يسارع صلاح الدين الأيوبي باستعادة القدس بعد نصر حطين، لما كان لهذا النصر قيمة تاريخية<sup>44</sup>. وهذا يحسب لحكمة يوسف السياسية والعسكرية. وبعد أن عفا القائد يوسف عن الغنائم بعد الحرب أثر بها ملوك الأندلس وعرفهم أن مقصوده الأجر العظيم، وما عند الله في ذلك من الثواب، فأجبه لكرمه وعفة نفسه ملوك الأندلس<sup>45</sup>. الشيء الذي يفهم منه أن الحرب كانت سعيًا لإقامة العدل، والانتصار للحق، والارتباط بالمرجعية الإلهية المتجاوزة التي تتجاوز المنفعة المادية. فكان ذلك إقراراً لتمييز مبدأ الجهاد في الإسلام عما شهدته الحروب على مر التاريخ، والذي تحولت خلاله الحروب إلى وسيلة لتحصيل الأموال والثروات.

أما جواز يوسف بن تاشفين الثاني والثالث للأندلس، فقد تم القضاء على التناحر الذي دار بين ملوك الطوائف والذي أضعف قوة المسلمين مرة أخرى، وكذلك لإنهاء الظلم الذي أصاب مسلمي الأندلس من خلال الضرائب والمغارم. فقام بذلك أمير المسلمين ابن تاشفين بعزل ملوك الطوائف ما عدا أمير سرقسطة الذي دخل في طاعته، ونفى المعتمد بن عباد أمير اشبيلية في أغمات جنوب مراكش. وعدلاً منه ألغى الضرائب والمكوس إلا ما فرضه الشرع كالزكاة والأعشار وأخماس الغنائم، وجزية أهل الذمة<sup>46</sup>.

38. د. عبد المتعال الصعيدي، *المجددون في الإسلام*، دار الحماني للطباعة، ط2، 1962ص:171.

39. أحمد بن خالد الناصري، *كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، دار الكتاب، الجزء الثاني، 1954، ص 32.

40. أحمد بن خالد الناصري، نفس المرجع، ص 35.

41. أحمد بن خالد الناصري، نفس المرجع، ص 41.

42. د. د. حسين مؤنس، *معالم تاريخ المغرب والأندلس*، القاهرة.

43. محمد عبد الله عنان، *دولة الإسلام في الأندلس*، القاهرة، مكتبة الأسرة، الجزء الرابع، 2001، ص 21.

44. د. حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 192.

45. أحمد بن خالد الناصري، مرجع سابق، ص 49.

46. محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص 52.

\*\*\*

إن التطلع إلى بناء أمة إسلامية قوية تحتل وضعا إيجابيا ضمن المجتمع الدولي المعاصر تتطلب عناصر قيادية تعقد عليها الآمال. وقد كان يوسف بن تاشفين في هذا الصدد النموذج الذي تميز بالخصائص الأساسية التي تميز بها بناة دولة الإسلام على مر العصور. وأول هذه الخصائص إيمانه العميق بالإسلام وفضل رسالته، وشعوره بضرورة خدمة الدين الإسلامي، والعمل على حمايته مما يمكن أن يحدق به من أخطار. وثانيها نظرته الواسعة للعالم الإسلامي على أنه مترابط. فبالرغم من كونه رجلا صحراويا لم يقم دولته حتى كتب إلى الخليفة العباس المستظهر بالله لتكون ولايته مستندة إلى الشرع. كما دعا للملوك العباسيين في دولته على المنابر، وكان يأخذ مثلهم بمذهب أهل السنة، وتسمي بأمر المسلمين دون أمير المؤمنين أدبا مع الخليفة وحتى لا يشاركه لقبه. كل ذلك اعتبر ميلا منه لجمع كلمة المسلمين ورمزا على وحدة العالم الإسلامي<sup>47</sup>. وثالث هذه الخصائص العدل، لقد كان أساس تنظيمه كله العدل، حيث كان يسعى إلى بسط لواء العدل في كل البلاد والقبائل، فكان يختار للإمارات والولايات خيرة رجاله من أهل الدين والعدالة، ويضم إلى كل وال فقيها حتى تكون أحكامه متوافقة للشريعة الإسلامية. فاستحق بذلك ثناء أحد أعظم علماء عصره ويتعلق الأمر بأبو حامد الغزالي<sup>48</sup>. كما كان له إيمان بالعروبة عظيم، فقد كان يعرف العربية دون أن يجيدها، واجتهد في إتقانها وشجع العلماء والفقهاء وحثهم على نشر العلوم العربية والإسلامية<sup>49</sup>.

كما اشتهر يوسف ببساطته المؤثرة، والتي لم تتأثر بتطورات الأحداث السياسية والفتوح العظيمة التي حققها. فقد بقي على حالته الأولى منذ كان زعيما محليا من زعماء الصحراء، يرتدي الصوف الخشن، حيث لم يتأثر بأي نزعة من ترف القصور، فقد كانت صفاته هذه عمادا حقيقيا للملك<sup>50</sup>. وينضاف إلى ذلك ذكاؤه وفطنته وكفايته العسكرية الواضحة. فظفره المستمر بالنصر لم يكن راجعا إلى كثرة جيوشه وقوته، بقدر ما يرجع ذلك إلى حكمته في تنظيم القيادة، وبراعته في تنسيق الخطط. وذلك ما تمثل في حوادث موقعة الزلاقة<sup>51</sup>.

لقد كانت تجربة الحكم المرابطي في الأندلس دلالة واضحة على أن هدف الحرب يتطلب تربية لجيوش المسلمين، لا تقوم على الإقناع بالقتال من أجل مصلحة الوطن، أو رفعته، أو مجده، في إطار ما يعرف بالأمن القومي، أو دفاعا عن الجنس واللون والمال والكرامة، فالقتال لتكون كلمة الله هي العليا. ومن تبعات ذلك أن كان الجهاد سبيلا لنصرة المستضعفين في الأرض. قال الله تعالى: (... ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا...) <sup>52</sup>.

وبذلك لم يكن جهاد المسلمين بالأندلس تسلطا وسعيا وراء الهيمنة وتصريفا لعقدة الاختيار كما هو حال الحضارة الغربية. إن الجهاد في الإسلام لا يتعارض مع الإقرار بحرية الآخرين ولا ينكر التعددية الحضارية والثقافية والعقائدية، وذلك لأن المنظور الحضاري الإسلامي يقوم على أساس التنوع والاختلاف، كسنة من سنن الحياة الاجتماعية. كل محاولة لإقصاء الآخر، ولطمس الاختلافات، لا تأتي إلا عن طريق الإكراه، والحرية والإكراه ضدان لا يجتمعان<sup>53</sup>.

47. عبد المتعال الصعيدي، مرجع سابق، ص 171.

48. د. حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 192.

49. د. حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 190.

50. محمد عبد الله عنان مرجع سابق، ص 49.

51. محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص 50.

52. سورة الأحزاب، الآية 60.

53. د إبراهيم البيومي غانم، مرجع سابق.



## الفصل الثاني : مفهوم القوة في الخبرة الأمريكية:

مما لاشك فيه أن الولايات المتحدة بنت حضارتها من خلال تصور للعلاقة مع الآخر يقوم على الإقصاء والإضعاف، في إطار حالة الصراع والأنا الصلبة التي توظفها المنظومة الغربية في مواجهة المجتمع الدولي<sup>54</sup>. وإحدى تجليات هذا التصور تتمثل في تصفية الهنود الحمر. وقد كان حل ونهج التصفية دليل على الاعتقاد الأمريكي بأن المواجهة تتعلق بشعب يشكل جبهة ثقافية مرتبطة بحقها في الأرض ارتباطا تاريخيا وحضاريا<sup>55</sup>. وبذلك لا يمكن تفسير توظيفات القوة في الممارسة الأمريكية، باستحضار العوامل العسكرية والاقتصادية فحسب. إذ لا بد من استحضار عناصر أخرى لها علاقة بالمنطلقات الفكرية والمعرفية والإيديولوجية.

**1- المنظور الغربي الأحادي للقوة :** قبل محاولة النظر في مجموعة من الأطروحات الفكرية الغربية المتعلقة بموضوع القوة، يجدر بنا بداية التمييز بين مفردات القوة والسلطة والهيمنة وذلك غاية في التدقيق في دراسة مفهوم القوة. وبناء على ذلك نجد بأن " القوة " هي تلك الأدوات والعناصر التي تكون سببا لإيجاد السلطة، أما " السلطة " فيعرفها كينيث والتزم بأنها<sup>56</sup> "المدى الذي يؤثر فيه أحد في الآخرين أكثر مما يؤثرون فيه ". فالسلطة تجسّد لعلاقات تكمن في القدرة على التأثير وفرض الإرادة على الآخر. في حين تتحدد علاقة القوة بالهيمنة في كون القوة المظهر المادي للهيمنة<sup>57</sup>. وفي مقارنة هانس مورغنتاؤ- كأبرز منظري المدرسة الواقعية - لموضوع القوة، والذي يطلق عليه لفظ "السلطان"، اعتبر أن علم العلاقات الدولية علما متفرعا عن علم السياسة. فقد ربط عالم السياسة الدولي بصلب عالم السياسة الوطني، مع الإشارة إلى أن علم السياسة تتركز دراسته على السلطة السياسية، بينما يعنى علم العلاقات الدولية بكيئونة العلاقات ما بين السلطات السياسية. فعلم العلاقات الدولية في الأخير هو امتداد لعلم السياسة، والذي هو منه بمثابة الفرع من الأصل، ويظل أن كلا العلمين يشترك في مفهوم أساسي هو القوة<sup>58</sup>.

لذلك اعتبر مورغنتاؤ والسياسة الدولية مجهودا متوصلا يهدف للحفاظ على قوة معينة في مقابل إضعاف دول أخرى<sup>59</sup>. ونفس الأمر نجده مع مكيافيلي الذي اعتبر أن الحرب هي المهنة الحقيقية للحكام. هذه الوظيفة التي تفرض نزوعا وإفراطا في توظيف القوة من خلال اللجوء إلى العنف والمغامرة والخداع، ليتحول الحكام بالضرورة إلى أشرار، لأن خبث الأشرار لا يمكن السيطرة عليه إلا بالخبث الذكي والقوة<sup>60</sup>. ويتخذ مكيافيلي من القوة وسيلة لوضع نظريته في السياسة الاستعمارية، حيث يرى أن الدولة التي لا تتوسع على حساب غيرها تكون عرضة لتوسع الدول الأخرى على حسابها، الشيء الذي يجعل من السياسة الاستعمارية إستراتيجية دائمة غير مؤقتة. ومن هنا تتبدى لنا خطورة مفهوم القوة في العلاقات الدولية<sup>61</sup>، حيث تعتبر القوة هدفا ووسيلة في نفس الوقت، وذلك ما أكدته أيضا مورغنتاؤ وحين اعتبر بأن القوة هي الضامن الوحيد لتحقيق أهداف الدولة، وهي الأهداف التي يتشكل منها يتشكل منها جوهر

54. د. عبد الوهاب المسيري، "الرؤية الاستعمارية الامبريالية"، المنعطف، الدار البيضاء العدد، 1995، ص 49.

55. د. عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص 53.

56. لحسن بسباس، مرجع سابق، أخذنا عن جورج بيركوفتش، "هل الهند قوة كبرى"، ترجمة فوزي قشوع، الثقافة العالمية، العدد 127، 2004، ص 14.

57. لحسن بسباس، مرجع سابق، (الصفحات الأولى).

58. Amélie Blom et Frédéric Charillon, ibid P 19.

59. Amélie Blom et Frédéric Charillon, ibid P 19.

60. د. سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 35، أخذنا عن ميكيافيلي، مطارحات ميكيافيلي، تعريب، خيرى حماد، بيروت، المكتب التجاري للتجارة والتوزيع والنشر، 1962، ص 446.

61. د. سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 34.

المصلحة القومية، والتي يجب ملاحقتها بأي ثمن، والتي تتمثل في البقاء المادي والثقافي للدولة، ولاستقلالها السياسي، ولوحدة أراضيها<sup>62</sup>.

إن غطرسة القوة التي ينادي بها هؤلاء المفكرون تؤكد أن القوة منظومة لتحقيق الإذعان والإخضاع والقسر وتأصيلاً لمفهوم التبعية في العلاقات والأفعال. الشيء الذي يجعل القوة بهذا المعنى تحللاً من كل التزام قيمي على مستوى الشكل. وهو تحلل يفسر النزعة الامبريالية الغربية التي بلغت ذروتها مع فلسفة داروين الاجتماعية وفلسفة نيتشه، حيث أن القوة والرغبة في القوة قد أصبحت النظام الوحيد المقبول لضمان الاستقرار الاستمولوجي والأخلاقي<sup>63</sup>.

وبذلك نجم عن التصور الغربي للقوة فصلاً بين القيم الأخلاقية، وتمايها تمايزاً قطعياً تحت مقولة الغاية تبرر الوسيلة. لتؤكد بهذا أن عملية التهميش القيمي كانت مدخلاً أساسياً لبناء الرؤية الغربية للعلاقة بين القوة والقيمة، وذلك من خلال أسبقية قيمة القوة عن قوة القيمة. وهوما جعل القيمة وفق هذا التصور تابعة للقوة تتشكل منها وتحاكيها. كما جعل القوة مستوى أرقى من القيمة في الفعل الحضاري وإمكاناته<sup>64</sup>.

إن التبنّي الاستمولوجي للقوة ولنتائجها المتصلة بالعقلنة والاجتياح والتوسع، لا يمكن أن تكون لها حدود تحصرها، لأن القوة وفق هذه الرؤية ليس لها إلا أن تؤدي إلى جملة من الممارسات والعلاقات غير السوية، ضمن موازين قوى غير متوازنة. مما أعطى للإنسان الأوروبي التبرير المطلوب في عملية السيطرة وإبادة الآخرين<sup>65</sup>.

فالحضارة الغربية كحضارة تعلي من قيم المنفعة والكفاءة والانجاز والتقدم مهما كان مقابل ذلك، تعد حضارة ليس لها إلا أن تقر بمقولة البقاء للأقوى والأصلح. والحل الأمريكي في مواجهة الهنود الحمر، والحل النازي للمسألة اليهودية دليلان على ذلك. وذلك على اعتبار أن الثقافة الامبريالية الغربية نتاج للإيمان بتفوق الرجل الأبيض على الأجناس الأخرى<sup>66</sup>.

إنه نخط من الحياة نابع من اعتماد القوة المطلقة لخدمة إيمان واه بالتفوق. فتكون القوة طغياناً يؤدي إلى الصراع الأبدي والخسران، بدل البحث عن سبل التعايش البناء. ولعل ذلك ما أكدته مورغنتاوي كتابه السياسة بين الأمم، إذ اعتبر أن الدولة التي تنشأ السلام عليها التطلع إلى القوة لضمان التفوق من جانبها. وذلك من خلال اعتباره العلاقات الدولية صراعاً على القوة، وأنه لما كانت أي دولة لا تستطيع التكهن بضمان أخطائها الحسابية، فإن عليها جميعاً أن تنشأ الحصول على الحد الأقصى من السلطان بما يمكنها من تحمل عبء الحد الأقصى من الأخطاء التي تقع فيها<sup>67</sup>.

ومن أهم المنظرين الجدد لتوظيفات القوة وفق التصور الغربي، نجد الفيلسوف ليونستراوس الذي دعا إلى الإيمان العميق بالقوة القسرية وما لها من دور في نقل الديمقراطية إلى العالم وقمع الرؤى المنافسة. فرؤية ليونستراوس تؤكد استمرارية الرؤية الحادية للقوة لاستمرارية الخيرية كصفة لصيقة بالذات الحضارية الغربية، في

مقابل الإقرار بطبيعة الآخر الشريرة. إن عقيدة التمييز بين الرجل الأبيض وغيره جعلت سياسة الحديد والنار ثابتاً لا يتغير<sup>68</sup>.

62. د. الحسان بوقنطار، *العلاقات الدولية: مفاهيم وإرشادات منهجية*، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1985، ص 102.

63. د. سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق، ص: 33.

64. د. سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق، ص: 33.

65. د. عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص: 51.

66. د. عبد الوهاب المسيري، *رحلتي الفكرية: في البذور والجدور والثمار*، القاهرة، دار الشروق، ط1، 2005، ص 514.

67. هانس مورغنتاوي، *السياسة بين الأمم*، ص 245.

68. سمير كرم، "ليونستراوس واليمين الأمريكي"، *المستقبل العربي*، بيروت، العدد 295، سبتمبر 2003، ص: 178.

كل التصورات السابقة جعلت القوة مفهوما يتحرك ضمن دائرة مغلقة تتطلب مفاهيم من طينتها. وبذلك تظهر القوة وكأنها مفهوم مستغن ومغلق. إنها رؤية تجعل من القوة القيمة العليا وقيمة التأسيس، ليتلو ذلك ربط البناء المفاهيمي للقوة وتكييفه وضمان تبعيته للقوة. وقد نجم عن ذلك أن تشكيل مفهوم المصلحة تم في إطار تابع يتحرك ضمن مفهوم القوة<sup>69</sup>. وبالتالي فهذا التصور يجعل عناصر القوة تتحرك ضمن مجموعة من الاستنادات الفلسفية والفكرية التي تعلي من العناصر المادية في القوة من خلال اعتبارها موارد تسعف في السيطرة والتحكم. إنه تصور يتبنى التنشوية كفلسفة لعبادة القوة أساسها نظرية الإلغاء والنفي ضمن مقولة إلحادية حركت كل عناصر "موت الإله"، و"موت القيمة"، وحلول الإنسان محل الإله ليعبر بعد ذلك عن عقيدة القوة<sup>70</sup>.

وفي هذا الإطار، فإنه ينبغي تفهم نسبية الحقائق التي يفرضها الواقع الذي انطلق منه منظروا القوة وفق التصور الغربي، لأن تعميم المقولات يجعل من فهمها شيئا صعبا المنال. فتحويل هذه المقولات إلى شعارات أبدية من خلال استثمارها ضمن سيرورة تاريخية طويلة للفصل بين القيم السياسية (المصلحة) والأخلاقية، مصدر أساسي للقيام بحركة استعمارية على نطاق واسع ودعمها بعبارة قيمة من قبيل "عبئ الرجل الأبيض"، أو "الكشف الجغرافية"<sup>71</sup>. الشيء الذي يؤكد عملية عملاقة مفهوم القوة وتوسيع دائرته. فمع تسليمنا مثلا بكون القوة الوسيلة الوحيدة لتحقيق الوحدة الإيطالية كظرف يمكن أن يبرر تأكيد مكيافيلي على القوة، فإن ذلك لا يبرر باقي الممارسات التاريخية والمعاصرة الغربية للقوة. كما أن ميكيافيلي أعلن في نهاية كتاب الأمير صراحة كيف يؤمن بالشهامة والرجولة السياسية، هذا الإيمان الذي ليس له إلا أن يؤكد أسبقية القيم، ومكنة القبول بالمخاطرة بالذات حماية لتلك القيم<sup>72</sup>.

**2- نشأة الولايات المتحدة الأمريكية وممارسة القوة :** لدى الشعب الأمريكي باستمرار ميل إلى احتكار الأرقام القياسية من الأقوى إلى الأكبر، ومن الأطول إلى الأعرض، ومن الأعلى إلى الأسرع، وإلى ما لا نهاية فيما يتعلق بكافة مجالات الحياة. ومن الواقع الأمريكي يتأكد هذا النمط من الحياة حيث نجد أن الولايات المتحدة تولي اهتماما لموضوع القوة رغبة منها في تحقيق الانتشار السريع ولو على حساب حقوق الآخرين، ولو على حساب الشعور الإنساني النبيل. فبعد وصول أهلها إلى القارة الأمريكية، تمت عملية توحيد الأقاليم بالسلاح لأنها العملية الأسهل والأأنجع. وقد كانت عملية التوحيد هذه (من خلال الحرب الأهلية التي أتت على نصف مليون قتيل)، تزيد على أي خسائر بشرية تكلفتها في أي حرب عالمية خاضتها، الشيء الذي يتوافق مع مبادئ الداروينية الاجتماعية التي أكدت مقولة أن الفائزين في صراع الحياة هم القدر على إزاحة غيرهم<sup>73</sup>.

إنه تاريخ المنتصر الذي يؤكد أن حرب الإبادة الجماعية أفرغت العالم الجديد من سكانه الأصليين، وقضت على أزيد من أربعمئة شعب وأمة و قبيلة<sup>74</sup>. وذلك ما أكدته داروين في مذكرات رحلته *The voyage of the beagle* حيث قال أنه حيثما خطا الأوروبيون مشى الموت في ركبهم إلى أصل البلاد التي يحتاجونها. كما لاحظ هوارد سيمبسون في مقدمة كتابه عن دور الأمراض في التاريخ الأمريكي، أن الاحتياح الأمريكي تم عن طريق الحرب الجرثومية التي ووجه بها الشعب الهندي، حرب لم يعرف لها تاريخ إنسانية مثيلا<sup>75</sup>.

69. سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 418.

70. سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق ص 418.

71. د. سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق ص 46.

72. د. حامد ربيع، *محاضرات في النظرية السياسية*، جامعة القاهرة، 1979، ص 6.

73. محمد حسنين هيكل، "الإمبراطورية على الطريقة الأمريكية"، *وجهات نظر*، القاهرة، مطابع الشروق، العدد 50، مارس 2003، ص 4 و 5.

74. منير العكش، *حق التضحية بالآخر أمريكا والإبادة الجماعية*، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، ط 1، يونيو 2002، ص: 19.

75. منير العكش، المرجع السابق، ص 22 و 23.

وتؤكد هذه الحقائق التاريخية في الوقت الذي يزعم فيه أن ما واكب الإبادة من فظائع كان مأساة غير مقصودة، وأن السبب الأول لموت الهنود هو الأوبئة. فالطبيعة وليس الأذى المتعمد هي السبب في هذا الدمار<sup>76</sup>. إنها مأساة مشؤومة غير متعمدة وأضرار هامة وواكبت انتشار الحضارة الأمريكية !!!

إنه تحريف للتاريخ يتنافى مع كون مجيء المستعمر الأمريكي كان نتيجة لتخطيط وتنظيم دقيقين، ونفقات ضخمة ومجازفات كبيرة، فقد كان على المستوطنين أن يقطعوا مسافات طويلة تعد بالآلاف الكيلومترات عبر البحر، وكانوا بحاجة إلى أدوات وآلات ومواد للبناء وأسلحة وذخيرة<sup>77</sup>.

وإثباتا لحق الأمريكيين في تاريخ لحضارتهم يتمجدون به، فإنه لم يتم الاعتراف قط بعدد الهنود الذين أبيدوا منذ الغزو الأبيض الذي دشّن باكتشاف فلوريدا سنة 1513. حيث نجد الكتب المدرسية الأمريكية لا تعترف بتاريخ الهنود الحمر قبل كولومبس. فقد كانت القارة الأمريكية شبه فارغة من البشر، حسب التاريخ الأمريكي المزيف. الشيء الذي يصبح معه الحديث عن حرب الإبادة متحاملا، ينبع من روح الكراهية للحضارة الأمريكية وتفوقها الباهر ونمط حياتها<sup>78</sup>.

وبالنظر لكون أن إحدى التحليلات الامبريالية للعلمانية الغربية، ارتباط التقدم الصناعي بالتقدم العسكري وبحالة الحرب، - لدرجة تطورت فيها الحروب بطريقة جعلت الأرباح المكتسبة من خلالها تتجاوز كلفتها<sup>79</sup> - فإن المعطى التاريخي أثبت كون الهاجس الأمريكي في التوسع والانتشار قد كان وراءه رجال الصناعة، وملاك ترسانات السفن، وأصحاب البنوك، من خلال مراكمتهم لأرباح طائلة أثناء الحرب الأهلية، مما ولد شعورا بالخوف من أن تنقلص رؤوس أموالهم بعد انتهائها<sup>80</sup>. فالسلطة السياسية التي خولت لملاك مناجم الذهب والمزارع الأسطورية هي الأساس في عملية استبعاد الهنود الحمر، استبعاد عرف بداياته في ولايات الذهب ككلورادو وغيرها<sup>81</sup>. الشيء الذي يؤكد صدقية ارتباط عناصر القوة ببعضها البعض على مر التاريخ، لاسيما فيما يرتبط بعلاقة الاقتصاد العسكري.

وفي عام 1846 احتلت جيوش الولايات المتحدة ولاية كاليفورنيا، وقد كان عدد الهنود بها في تلك السنة أقل من ربع ما كانوا عليه في عام 1769، ومع ذلك فخلال العشرين سنة الأولى من احتلال هذه الولاية أبيد 80 بالمئة من هذا الربع. وفي أوائل سنة 1850، سنت ولاية كاليفورنيا في أول جلسة تشريعية قانونا " لحماية الهنود ". هذا القانون الذي أعطى شرعية لعملية خطف الهنود وإلزام ما يزيد عن 10 آلاف منهم بنظام السخرة. فأصبح معظم الفارين بحقهم في حياة حرة كريمة يعيشون في ما يعرف بأمالك الولايات المتحدة إذ تحولوا بمقتضى قوانين الذين سرقوا بلادهم إلى لصوص معتدين على أملاك الغير. وبعد سنة من صدور قانون "حماية الهنود" دعا حاكم الولاية " Peter Burnett " إلى إبادة الجنس اللعين ( الهنود الحمر )، في رسالته إلى المجلس التشريعي قائلا فيها<sup>82</sup>: " إن الرجل الأبيض الذي يعتبر الوقت ذهباً، والذي يعمل طول نهاره ليبي حياة سعيدة لا يستطيع أن يسهر طول الليل لمراقبة أملاكه ... ولم يعد أمامه من خيار سوى أن يعتمد على حرب إبادة، إن حرب الإبادة قد بدأت فعلا، ويجب الاستمرار فيها حتى ينقرض الجنس الهندي تماما ".

76. منير العكش، *حق التضحية بالآخر أمريكا والإبادة الجماعية*، المرجع السابق، ص 19.

77. د. رودجرى ريتشارد هوفستدثر، *موجز التاريخ الأمريكي*، واشنطن، وكالة الإعلام الأمريكية، 1997 ص: 2.

78. منير العكش، مرجع سابق، ص: 16.

79. د. عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص: 53.

80. محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص: 6.

81. منير العكش، مرجع سابق، ص: 29.

82. منير العكش، مرجع سابق، ص 29 و 30.

كيف يطرد شعب من وطنه بقوة السلاح كما تطرد الوحوش المفترسة من غاباتها؟! إن الحق هنا، هو الحق الذي يمتلكه الشعب القادر على قهر الشعوب الأخرى<sup>83</sup>.

وخلال سنة 1830 تم سن قانون ترحيل الهنود بالقوة من شرق الميسيسيبي إلى غربه، رحلة الدموع هذه عنيت كل من شعب الشيركي والشوكتو والشيكاسو والكريك والسيمنيول. فقد سيقوا قسرا لمئات الأميال عبر مناطق موبوءة بالأمراض وأطعموا خلالها من لحم نتن وطحين فاسد<sup>84</sup>.

وفي سياق حرب الجذري التي شنت ضد الهنود الحمر طلب اللورد إمهرست من الكابتن بوكيه نشر مرض الجذري بين قبائل الهنود الحمر. وقد تم ذلك من خلال مناديل وأفرشة تم تلويثها في مستشفى الجذري، الشيء الذي نجم عنه انتشار الوباء بين شعوب الأوتوا والمينغر والميامي واللينى لونايبه. فأتى بذلك المرض على ما يزيد عن مئة ألف طفل وامرأة وشيخ وشاب. لقد كانت الحرب الجرثومية تفننا في وسائل تفريغ القارة الأمريكية من أهلها. الشيء الذي يكشف عن العنصرية التي ترتب عنها سياسة العنف المميت<sup>85</sup>.

فضلا عن كل هذه المآسي التي تعرض لها الشعب الهندي، يذكر التاريخ في نهاية القرن التاسع عشر، مذبحة "وونري" التي قتل خلالها المئات من شعب "لاكوتا" ونسائهم وأطفالهم بالقصف العنيف، وكل من نجوا تم تعقبه واصطياده كما تصطاد الحيوانات الوحشية. وهذا ما أكدته شاهد عيان، ويتعلق الأمر بطبيب وأديب هندي يدعى شارل إيستمن، الذي أكد أن قتل الهنود الحمر وملاحقتهم خلال هذه المذبحة تم بعزم وتصميم فيما كانوا يحاولون النجاة بأرواحهم. ويستطرد قائلا في أسى عميق: "حينها لم أستطع أن احتفظ برباطة جأشي بسهولة أمام المشهد الذي أتلف كل أعصابي، وأمام ذلك الحزن الذي طغى على كل من معي من الرفاق بين من يجيش في بكائه أو يتلوا نشيد موته"<sup>86</sup>.

وفي هذا المقام يضرب لنا الهنود الحمر أروع صور الارتباط والتمسك بالأرض على الرغم مما عانوه من تقبيل وترعيب وترهيب وترويع. ويظهر ذلك جليا من خلال أحد زعماء الهنود ويدعى "ميلك ريفر" في رده على الغزاة الذين حثوه على الإسراع بتوقيع ميثاق إقليمي للتخلي عن الأرض، حيث قال: "ما زال هناك وقت طويل تتألق فيه الشمس، وتجري الأنهار، وتبقي الأرض، لتهب الحياة للإنسان والحيوان. ربما تفكرون أن الخالق قد أرسلكم، لتنظيمنا حسب إرادتكم، ولكن افهموا جيدا سبب حيي للأرض، أنا لم أقل أبدا أن هذه الأرض ملكي أستخدمها على هواي، إنما وضعت هنا من قبل الروح العظمى لخدمتها، ولذلك لــــن نستطيع بيعها لأنها ليست ملكنا"<sup>87</sup>. أين نظام قيم الغزاة الذي يباع فيه كل شيء ويشترى، من هذا الاحترام للطبيعة والإله؟

ومع تأسيس الجيش الأمريكي أصبح السلخ والتمثيل بالجثث تقليدا مؤسسيا رسميا، فقد صار قطع الرأس الهندي وسلخ فروته من الرياضات المحببة، بل كان الأمريكيان يتباهون بأن ملابس صيدهم وأحذيتهم مصنوعة من جلود الهنود. ويذكر التاريخ كيف تناهش الجنود على فروة رأس أحد الهنود الحمر، حتى أن بعضهم لم يحصل إلا على قطعة صغيرة، وعندما أجريت معه مقابلة سنة 1886، تحدث عن تلك المناسبة التاريخية بكل افتخار وهو يحمل بين إصبعيه تذكاره البطولي<sup>88</sup>. ففي كل خطوة من التوسع الأمريكي لم يتم التخلي عن السياق التاريخي الدموي الناجم عن عقدة الاختيار والتفوق، حتى أوهم الغزاة الأمريكيون أنهم يملكون حق تقرير الحياة

83. شوقي جلال، *العقل الأمريكي يفكر*، مكتبة مدبولي، ط2، سنة 2000، ص: 134.

84. منير العكش، مرجع سابق، ص 31.

85. منير العكش، مرجع سابق، ص 48.

86. منير العكش، مرجع سابق، ص 62.

87. روجيه غارودي، *الولايات المتحدة طبيعة الانحطاط*، ترجمة مروان حموي، دمشق، دار الكاتب، ط 1، سنة 1998، ص: 156.

88. منير العكش، مرجع سابق، ص: 75.

والموت في حل من أي إحساس والتزام إنساني تجاه الشعوب. وهذا ما جعل أمريكا تعيش بضحاياها، ولا يمكن فهم سياستها التوسعية والاستعمارية، "إلا بالبحث عن ينايع طقوسها الخاصة بالتضحية بالآخر"<sup>89</sup>.

#### خاتمة

لقد شهد مجال العلاقة بين الحضارات اهتماما كبيرا، منذ نهاية الحرب الباردة، مع مقالة هنتغتون. وقد بلغ هذا الاهتمام ذروته مع الحرب على الإرهاب وما أعقبها من تداعيات، الشيء الذي كان دوره في إبراز أهمية الأبعاد الدينية، الثقافية، الحضارية، والأبعاد القيمية في دراسة العلاقات الدولية<sup>90</sup>. والمقصود بالبعد الحضاري - الثقافي في تحليل العلاقات الدولية: "تلك الأبعاد المتصلة بآثار اختلاف الثقافة والحضارة على اختلاف الرؤى والقيم وقواعد السلوك والأخلاق، وعلى اختلاف في الرؤية للعالم ودوافع السلوك وأسس الهوية"<sup>91</sup>. لذلك فدراسة موضوع حوار الحضارات يتم في إطار التأصيل النظري من منظور إسلامي في حقل الدراسات الحضارية الدولية<sup>92</sup>.

ومن ثم فقد جاء اختيار منظور حوار الحضارات كتعبير عن وجهة نظر إسلامية معاصرة لما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الدولية. والتأكيد - ضمن هذا المنظور - على الحوار وليس الصراع يجد سنده في مسلمتين اثنتين: أولهما تتعلق بفلسفة الإسلام وروحه، وذلك لما أكد الإسلام وحدة الجنس والنسب للبشر جميعا، فكانت بذلك حكمة التقسيم إلى شعوب وقبائل، هي التعاون لا التخاذل، والتعارف لا التحالف، والتفاضل بالعمل الصالح لما فيه من خير يعود بالنفع على الجماعة والفرد<sup>93</sup>. ويعلن القرآن الكريم هذه الحقيقة بوضوح فيقول: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا"<sup>94</sup> ويقول: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"<sup>95</sup>. وثاني المسلمتين ترتبط بالعملة التي باتت حقيقة قائمة، والتي تفرض التعايش وليس الصراع. لذلك نجد أن هذا المنظور يقوم على الدعوة إلى انتخاب القضايا التي تغذي الحوار والتعايش والفهم المتبادل، علاوة على أن الفهم المتبادل يسعف في تحقيق القابلية لواقع التنوع ليس السياسي فحسب بل والعقدي<sup>96</sup>.

فالحوار ينبغي أن يكون فصلا جديدا ونموذجا معرفيا غالبا في العالم، من خلال الإقرار بالتعاون المشترك. فكل أفراد البشرية يجب أن يمارسوا حقهم في أن يتعاونوا في تحديد معالم مجتمعهم الدولي الذي يعيشون ضمنه. لا يجوز تهميش وإقصاء ونبد أي أمة أو شعب، فالآخر لا ينبغي أن نتحمله فحسب، بل يجب العمل معه وإلى جنبه. والمسؤولية في هذا الصدد ملقاة بالدرجة الأولى على عاتق المجتمع المدني الدولي، القادر على بلورة العالم الإنساني من خلال التعاون بين البشرية جمعاء.

89. منير العكش، مرجع سابق، ص: 90.

90. د. نادية محمود مصطفى "إشكالية العلاقة بين الحضارات... قراءة في خطابات عربية وإسلامية"، السياسة الدولية، القاهرة، العدد 168، 2007، ص: 10.

91. د. نادية محمود مصطفى، المرجع السابق، ص: 11.

92. د. نادية محمود مصطفى، المرجع السابق، ص: 11.

93. إبراهيم البيومي غانم، مرجع سابق، ط2، 2007، ص: 8.

94. سورة النساء، الآية 1.

95. سورة الحجرات، الآية 13.

96. السيد ياسين وآخرون، حوار الحضارات، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط2، 2007، ص: 8.



إن حوار الحضارات في ظل قساوة وكثافة الحروب وسفك الدماء وممارسة الظلم والاستغلال، دعوة إلى تغيير النموذج المعرفي - القائم على الصراع - السائد في العلاقات الدولية، وضرورة لاستمرار الحياة البشرية<sup>97</sup>. مع الإشارة إلى أن تغيير النموذج المعرفي الذي يطغى على العلاقات الدولية المعاصرة، والمتسم بالصراع والشك.

والحذر. ينبغي أن يتم في إطار إيجاد تحول في الأخلاق السياسية والمتمثلة في التواضع والوفاء بالعهد والمشاركة، كأحد اللوازم الأخلاقية الكفيلة بإنجاح الحوار بين الحضارات في ميدان السياسة والعلاقات الدولية<sup>98</sup>.

\*\*\*

غير أنه وبالنظر بالنظر للواقع الدولي وما تعيشه العلاقات الدولية حالياً، جدير بنا أن نطرح سؤالاً جوهرياً يتعلق بجدوى الحوار في ظل اختلال ميزان القوى، هذا الاختلال الذي يؤدي إلى إيجاد سبيل جديد لفرض الهيمنة الثقافية والحضارية؟

إن الإجابة على هذا السؤال تستدعي إبراز وجهة نظر أخرى ترفض أطروحة حوار الحضارات على اعتباره موضوعاً مهرجانياً، وبالنظر لكون الاهتمام به لم يكن سوى ردة فعل على نظرية صراع الحضارات لدى هانتغتون. فالحوار في نظر هذا الفريق لن يجدي نفعا في ظل غياب التكافؤ بين أطراف الحوار حيث أن الغرب هو الطرف المعني دائماً وأبداً بوضع أحندة الحوار، وبتحديد قضاياها: كعالمية حقوق الإنسان، وقضايا الحريات، والحقوق الفردية، وحقوق المرأة... وهي قضايا يتخذها الغرب وسيلة لاستعمار جديد يهدف من خلاله إلى صياغة المجتمعات الإسلامية على الشاكلة التي يريدها، تحت مسميات واهية، من قبيل إشاعة ثقافة التسامح، ومحاربة الإرهاب<sup>99</sup>...

\*\*\*

وبالنظر لكون موضوع الدراسة لا يعنى بالدرجة الأولى بتقييم نظرية صراع الحضارات، فإنه سيكون من الأفيد تجاوز هذا النقد المعرفي والمنهجي والسياسي لمقولة صامويل هنتغتون لتقدم رؤية بنائية والتي تتحدد أبعادها فيما يلي:

أن الحديث عن صراع الحضارات لم يبدأ مع صدور مقالة هنتغتون<sup>100</sup>، فالسبق كان للمفكر المغربي " المهدي المنجرة " الذي اعتبر من الأوائل الذين انتبهوا إلى الدور المركزي للهوية الثقافية في تحديد طبيعة ومصادر الصراعات المقبلة، قبل أربعة عشر عاماً من صدور مقالة هنتغتون، وهذا ما أكدته أثناء حرب الخليج الثانية<sup>101</sup>. ومن ثم فمنظور حوار الحضارات لا يمكن أن يكون مجرد ردة فعل.

كما أن التصور الإسلامي للعلاقات الدولية لا يعتبر الصراع قانوناً مطلقاً للعلاقات الدولية، كما هو الحال مع المدرسة الواقعية بروافدها، ومنها فكر هنتغتون. فالتدافع هو الرؤية الإسلامية للصراع، والذي يعد في حد ذاته إحدى سنن الاجتماع البشري. الشيء

97. محمد خاتمي، " حوار الحضارات والثقافات "، شؤون الأوسط، بيروت، ص: 57.

98. محمد خاتمي، المرجع السابق، ص: 56.

99. د. السيد ياسين وآخرون، مرجع سابق، ص: 8.

100. د. نادية محمود مصطفى، " إشكالية الاقتراب من مفهوم حوار الحضارات "، أمي في العالم، القاهرة، العدد الخامس، مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2003، ص: 401.

101. د. المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1991، ص: 49.

الذي يفهم منه أن مبدأ الجهاد ليس صراعاً بهدف إنهاء الخصم، ولكن وسيلة لنشر الدعوة. فتأتي الحرب إلى جانب التعاون السلمي كأدوات للجهاد، كل منهما له ضوابط وشروط، ولا يمكن لإحدهما أن تكون بديلاً مطلقاً عن الأخرى<sup>102</sup>.

كما تعني هذه الرؤية البنائية بتحديد نمط العلاقة بين الحضارات بناء على الرؤية الإسلامية. ويتعلق الأمر هنا بتعارف الحضارات على اعتباره مفهوماً قرآنياً كفيلاً بالتعبير عن المرتكزات المعرفية للتصور الإسلامي.

فمصطلح الحوار يضع الدائرة الحضارية الإسلامية في نطاق الدائرة الاعتدالية الدفاعية عن الإسلام والمسلمين، في حين نجد تعارف الحضارات يعبر عن استجابة إيجابية وليس مجرد رد فعل لتداعيات أطروحة صراع الحضارات. وفي ظل مفهوم تعارف الحضارات، وبالنظر لإشكالية التعريف بالذوات الحضارية، يظل الحوار والتعارف ضرورة معنية بصياغة مجموعة من القيم العالمية المتناسقة التي لا تتجاهل التنوع الإنساني والتعددية الحضارية الخلاقة. وبناء على ذلك فالحضارة العربية الإسلامية معنية بالمساهمة في إيجاد حلول للمعضلات العالمية بناء على تصوراتها القيمية الإنسانية<sup>103</sup>.

وبعد أن تم التطرق للتوظيفات المعاصرة للقوة في إطار السياسة الخارجية الأمريكية، وبعد أن اتضح لدينا أن هدف التوظيف الأمريكي للقوة هو تحقيق المصالح الإستراتيجية ودمج العالم برمته والتصرف على أساس أن الولايات المتحدة الزعيم الأوحيد للعالم<sup>104</sup>. فإن منظور حوار الحضارات أو تعاون الحضارات في بحثه عن سبل التعايش السلمي، معني بتحديد ثقافة المقاومة إلى جانب ثقافة التعارف. إن السلام لا يتحقق بالحوار إذا كانت العدالة مفقودة وإذا ماتت المقاومة. وثقافة الحوار لدينا يجب أن تنطلق من مفهوم العدالة كغاية، وذلك حتى لا يكون ثمن السلام هو الاستسلام، أو الاعتذار، أو الدفاع عن براءة ذاتنا الحضارية<sup>105</sup>.

وختاماً لهذه الدراسة، يمكن الإقرار بأن توظيفات القوة في الممارسة الأمريكية تتميز باتجاهها نحو الهيمنة المعرفية، الثقافية، السياسية، الاقتصادية، والعسكرية. من ثم، وبناء على الأدلة العلمية، وبعيداً، ما أمكن الباحث ذلك، عن أي تحيز معرفي غير محمود، يمكن أن نؤكد أن التوظيف الأمريكي لعناصر القوة توظيف يجعل من هذه العناصر وسيلة لخدمة أهداف لاعقلانية. وقد كان ذلك بشهادة من خبروا الحضارة الغربية، ويتعلق الأمر بماكس وير، حيث وجد أن "عملية العقلنة والترشيد تنصب على الوسائل والأدوات وحسب، أما الأهداف فهي أمر متروك لاختيار الأفراد"<sup>106</sup>. الشيء الذي يعد ظاهرة مشتركة بين النازية والصهيونية، وسمة حاضرة في الممارسة الحضارية الغربية، وبالأخص الأمريكي منها. في حين نجد أن توظيفات القوة في الممارسة الإسلامية، وفي عالم يتسم بانتشار معظم عناصر القوة المادية، لا تغيب الجوانب المعنوية عن الأهداف التي تتوخاها، وذلك من خلال انضباط توظيفاتها بالمقاصد الرشيدة التي حددها مرجعيتها المتجاوزة. والتي تعمل (من خلال سمتها المتجاوزة هذه) على ضبط أنانية الذات البشرية، والتي تتجلى في الرغبة في احتكار واستعراض أكبر قدر من القوة. فمصادقية وشرعية القوة وفق المنظور الحضاري الإسلامي تتحدد بناء على ما يمكن تحقيقه من سلم وعدالة وأمن للبشرية جمعاء.

102. د. نادية محمود مصطفى، مرجع سابق، ص: 13

103- د. نادية محمود مصطفى، مرجع سابق، ص: 14.

104- د. زينب عبد العظيم، "الإستراتيجية الأمريكية العالمية واستمرار الحرب ضد الإرهاب"، أمّني في العالم، القاهرة، العدد الخامس، 2003، ص 838.

105- د. نادية محمود مصطفى، مرجع سابق، ص: 21.

106- د. عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمار، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2005، ص: 514.